عصرنا عصر الخشب لا عصر الذرّة

الغابات

وكيف ننتفع بأشجارها

للأستاذ جورج نيقولا دريس

على الرغم من كوننا في عصر الذرّة ، وننتقل من تقدم الى آخر ، فان هـذا لا يمنعنا من أن نقول إن عصرنا الحالي هو عصر الخشب أيضاً ، فورق صحفنا مصنوع من الخشب ، واطارات نظاراتنا وأقلامنا الحبر ، وما يشابه ذلك ، مصنوعة من العجائن المأخوذة من الخشب . والدور التي نعيش فيها جزء كبير منها مصنوع من الخشب . كذلك أثاث المنازل والعوازل الكهربائية وتحف الادوات التلفزيونية والادهنة وبعض الآلات الموسيقية وأدوات الفوتغراف وأشياء كثيرة من أقلامنا وما يتعلق بها يصنع من الخشب . كما ان كاوتشوك السيارات والطائرات يستخرج من الاشجار ، وهياكل العربات وبعض هياكل السيارات ، والطائرات كانت تصنع من الخشب .

وفي الحرب العظمى استعمل الخشب في صناعات عديدة حتى استخرج منه اللحم وعلف الحيوان والعطور والسكر ، وصنعت منه الأدوية مثل السلفاميد كما اتخذت منه العقاقير المطهرة والقاتلة للحشرات والمبيدة للبعوض و ذباب مثل الـDDT وغيرها ، والهرمونات الجنسية والفيتامين (د) وبعض أنواع الصابون ، وأصناف لا عدد لها من الدمى المختلفة الأشكال والأنواع .

وتناولته الكيمياء فصنعت منه السيلوفان والسيلولويد والقماشات الزراعية والأسمدة وغير ذلك ، مما حل محل الحجارة والصلصال والمعادن والزجاج والصوف والقطن والحرير

وسائر المنسوجات. وعلى الرغم مما وصلنا إليه من كثرة الصناعات المرتكزة على الخشب ، فإن المستقبل يخبىء لنا أضعاف أضعافها ستستخرج من هذه المادة التي تجود الطبيعة بها على الانسان في كل بقعة من بقاع الأرض بشكل دائم ومستمر وبدون انقطاع ، حتى ليصح لنا أن نقول إننا سنستخدم المصدر الخشبي الذي سيمدنا كل ما نحتاج إليه ونفسو له ، وكل الضروريات والكماليات وفرق الكماليات .

﴿ الخشب يوجد في كل البلاد ﴾ يعد الخشب الآن من المواد الأولية التي لا غنى عنها ، والتي تقرن كل حاجيات الحياة الانسانية ، فيقدم الغذاء للانسان والحيوان ، وهي في العالم الآن المصدر الثاني لخيوط النسيج التي تكسو عدداً وافراً من بني البشر ، وسيأتي يوم تقدم فيه الكساء لمعظم أهل الأرض ، كما تقدم الآن للمهندسين المعماريين كل ما هم في حاجة إليه لاقامة الأبنية والدور والقصور وما إليها .

﴿ الخشب يملأ الأرض ﴾ وعلاوة على ما يجده الانسان في المساحات المهملة من الأرض من الفحم الحجري والحديد والبترول وسائر الثروات المعدنية العديدة ، توجد في عالمنا من الغابات ما تبلغ مساحتها أربعون مليار فدان ، أي ما يوازي ربع مساحة الكرة الأرضية ، وهي زاخرة بالأشجار الخشبية الباسقة ، ولم ينتفع حتى الآن إلا بجزء صغير من أخشاب هذه المساحة الهائلة ، ويكفي للدلالة على عظم هذه الغابات واتساعها أن نقول ، إن مساحة ما هو موجود منها فقط في بقاع الخط الاستوائي وفي القطبين تبلغ مساحة أمريكا الشمالية بأسرها بما فيها كندا والولايات المتحدة والمكسيك وما يليها جنوباً ، وان فدانين من الغابات الجيدة الأشجار يدران سنوياً من خيوط المنسوجات اضعاف ما يدره فدانان من القطن ، كما يعطيان من السكر مثلما تعطي نفس المساحة اذا زرعت بنجراً أو قصباً .

﴿ الخشب لا ينفد ﴾ وليست الغابة حقل معدن ينفد ما فيه من كثرة الاستنباط ، بل هي أرض للاستغلال ، على شرط أن تراقب هيئة منظمة قطع الأشجار وزرع غيرها ، وبهذه الطريقة يستطاع الحصول بشكل دائم على الخشب اللازم لجميع الصناعات والمواد التي يحتاج إليها الانسان في كل زمان ومكان .

ولكن مما يؤسف له أن معظم الغابات في جميع أنحاء العالم غير خاضع للرقابة المنتظمة ، فقطع الأشجار يجري وفقاً لرغبة كل انسان ، كما أن زراعة الشجر ليست مما يهتم به ، وهذا

يدل على ان مدنيتنا الصناعية لم تعرف بعد كنه المعرفة حقيقة المادة الخشبية ، وما يستطاع جنيه من ثروات الغابات التي لا تعد ولا تحصى ، فالانسان في مدة تاريخه القصير على وجه البسيطة ، قد حوّل الى بقاع قاحلة ، لا زرع فيها ولا ضرع نحو عشرين مليار فدان من الغابات ، أي ما يصل الى ثلث مساحة الغابات التي أوجدتها الطبيعة ، ويوجد الآن من التبذير في الأخشاب التي تحتطب ما يعد خسارة جسيمة لحياة البشر الاقتصادية والصناعية ، فمن بين كل أربع شجرات تقطع شجرة واحدة فقط تصل الى المستهلك بكل ما يجنى منها من الفوائد العديدة ، والثلاث الباقيات تذهب هباء منثوراً ، كأن تحرق أو أن تمزق اربا دون فائدة ، أو أن تسقط ثنايا هنا وهناك .

وهذا الشر الذي نعده مستطيراً يأتي من اعتقاد الانسان العادي ان الخشب لا يصلح إلاّ للوقود أو للعمار . وحقيقة الواقع ان الخشب له من المنافع ما ليس لمادة أخرى من المواد الطبيعية ، وفي استطاعتنا أن نؤكد أن هذه المادة اذا استعملت في خدمة البشر من الوجهة العملية الحقيقية ، أمكنها أن تزيل من العالم كل أنواع الشقاء ، لأن استغلال جميع مصادر الغابات من شأنه أن يحدث في المعمورة ثروة عالمية مؤسسة على السلام والرخاء والرفاهية .

وقد يعتقد البعض أن هذه النظرية غير واقعية ، أو لا تقبل التحقيق ولكن الكثيرين من الذين تعمقوا في درسها يعتقدون بصحتها وحقيقتها ، وانه في الاستطاعة اخراجها من حيز الفكر الى حيز العمل ، هذا اذا بذلنا شيئاً من الجهد ، وبعضاً من الروية .

﴿أوجدوا صناعة غابية﴾ اننا في هذه الأيام ندمر الجزء الأكبر من ثروة الغابات ، وحتى في الولايات المتحدة الامريكية ، حيث يعمل حساب دقيق لكل شيء مهما تمه ، فان الامريكيين يدمرون من ٤٠ الى ٧٠ في المائة من هذه الثروة ، اذ عوضاً من أن يكون في العالم صناعة تسمى الصناعة الغابية ، يوجد فقط مصانع متفرقة منها ما هو للورق ومنها ما هو لنشر الألواح الخشبية ، ومنها ما هو للفحم ، وغير ذلك مما يتفرع من خشب الأشجار .

واذا ما جمعت هذه المصانع وضمّت إلى بعضها فان أشجار الغابات تفي بحاجاتها كلها ، ويتبقى منها جزء كبير ، كان يذهب هزاً ، يستعمل في صناعات لا عداد لها ، نذكر منها الصحائف والبلاستيك ونورنيش والألوان ، والفحم ، والعوازل الكهربائية ، والمقابض والخل والأغذية ، والروغ ، ولا سيما الكحول المستعمل في حاجات الحرب ، والـ

يستخرج من القمح والدقيق بكميات هائلة ، ومن ألواح الخشب المعدّة للبناء لصنع الأثاث ، إذ لم [illegible] تستخرج منه الكحول من نفايات الخشب التي لا يعرف أصحاب المصانع كيف يتخلصون منها ، ومن السوائل التي لا قيمة لها والتي تخرج من مصانع الورق .

إن النشارة والخشب التي تتخلف مع التراب من أرض مصانع النشر في الاستطاعة إيجاد منها طعام للحيوانات ذي بالبروتين ، في مقدرته أن يغذي عدداً وافراً من حيوانات الذبح الصالحة لغذاء الإنسان ، كما أن استخراج الكحول الخاص بالمواد الحربية ، عوضاً عن استخراجه من القمح والدقيق من شأنه أن يوفر للعالم سنويًّا ملايين القناطير من هذين الصنفين الضروريين للجنس البشري في طعامه اليومي ، فيرخص سعرهما المرتفع ، وتزول المجاعات المخيفة التي حدثت بعد الحرب الحالية ولا تزال تحدث في كثير من بلدان العالم ، ولا سيما في القارة الأسيوية .

إن الصناعة الغابية إذا أحسن ترتيبها وإدارتها في استطاعتها أن تغيّر مجرى حياتنا الاقتصادية ، وتمنع الكثير من البلاء الحال بني البشر ، إذ لا يوجد في أوربا كلها بلد ينتفع الانتفاع الكلي بثروته الغابية ، إذا استثنينا السويد فهذه الدولة تسنى لها طيلة الحرب العالمية الأخيرة ضم أطراف مصانعها وتوحيد العمل فيها فانتفعت إلى أقصى حد بثروة الغابات فيها ، دون أن تترك شيئاً ولو تافهاً من أخشابها يذهب هباء ويضيع سدى ، فصنعت من الخشب الأطعمة التي لا عداد لها وعلف الحيوان والسكر والنشاء والكحول والخل والنبيذ والفحم وخيوط الغزل والحرير الصناعي والمعاجين التي يصنع منها أصناف وأنواع من الخاصيات لا تقع تحت حصر ، حتى أنها أمدت بحاجات الطعام في منتصف الحرب ، وأمدت من الأغذية والأطعمة أكداساً مكدسة أصدرتها إلى جارتيها النروج والدانمرك وسائر البلاد الأوروبية حالما تحررت من نير النازية الألمانية ، بدرجة قيل معها إن غابات السويد أنقذت البلاد من الاختناق الاقتصادي .

ويجب علينا الاعتراف أيضاً أن هناك عوامل أخرى ساعدت في هذا الانتعاش ، غير أن الفضل الأكبر يرجع إلى غابات السويد وحسن استعمال أشجارها أو عدم التفريط في أية نفاية تسقط من الأخشاب عند استهلاكها .

* الغابات عامل لذهب الأرض وثروتها * الشقاء مخيّم على القارة الأسيوية ، والمجاعة تفتك سنويًّا بمعظم أهلها مع أن معظمهم يعيش في الأراضي التي كانت في الماضي من أخصب بقاع الأرض ، لكنهم لاشوا الغابات التي كانت هناك فنضبت الينابيع ، وكسحت الأمطار الطمي الذي يغشى ذرى الجبال ، وجرفت الفيضانات الطين والوحل وأحلتهما في

الأراضي المزروعة فأتلفت ما فيها ، وأنزلت بمحسبها الدمار والبوار .

يدّعي البعض أن مدنيتنا الحالية تتطلب دحر الغابات والتخلص منها واحلال العمار محلها ، والحقيقة ان مدنيتنا تقتضي العناية التامة بالغابات ، وزرع الأراضي البور بالأشجار الخشبية ، لأن العصر الذي نلجه ليس عصر البترول ولا الذرة ، بل عصر الخشب الذي سيأتي يوم نستخرج منه ان لم يكن كل حاجياتنا فجلها ، لأن الغابات اذا انتفعنا منها جيداً تعادل تماماً معادن الذهب والبترول ، بل تفوقهما اضعافاً مضاعفة ، لأن هذين الصنفين ليس فيهما نفع في حد ذاتهما ، فهما واسطة ووسيلة ، بينما أن الخشب مصدر لكثير من المآكل والحاجيات التي تصنع منه ، وتؤخذ من مادته نفسها .

﴿الغابات لم تزل وافرة في العالم﴾ ومن حسن حظ الانسان أن بقاعاً فسيحة في الارض لم تزل عامرة بالغابات ، إذ يوجد نحو ثلاثين مليار فدان من الغابات الغبياء العذراء في خط الاستواء وما تحته في أفريقيا وأمريكا اللاتينية ، علاوة على ما يوجد منها في آلاسكا ومنشوريا وسيبيريا الروسية .

وهذه الثروة الخشبية لا ينضب لها معين ، فهي ليست معادن ولا بترولاً يأتي عليها يوم تنفد فيه وتجف ، بل هي قابلة للزيادة والاتساع إذا زرعت مقابل كل شجرة تقطع شجيرتان أو أكثر ، وفي الاستطاعة تحويل الصحاري الجرداء الى غابات غبياء بقليل من الجهد وبجزء من المال الذي ينفق على التسلح وابتكار آلات الخراب والدمار ، فتصبح هذه الأراضي الجرداء جنات خضراء فيحاء تدر على أهلها اخلاف الرزق ، فتنتفي الحاجة ، ويزول الفقر ، ويملأ كل انسان بطنه بالمآكل دون أن تكون هناك مجاعة ولا قحط ، ولا عوز ولا متربة .

ولكن هل يعود الانسان الى صوابه ، ويحكم عقله في أموره وشؤونه ، ويميز صالحه من طالحه ، ويعرف ما يضره وما ينفعه ، ويقلع عن غيه ، وينبذ فكرة الحرب ، وينصرف الى التشييد والتعمير عوضاً عن التخريب والتدمير ؟

نقول : لا ، والأسى يحز في نفسنا ويمزق نياط قلبنا

(مترجمة عن مجلة ايكو الفرنسية)